

واحد من هؤلاء أن يناقش مناقشة جدية ما خلفه رجال القرن الرابع. إنه عبد القاهر الجرجاني، وحده، الذي يمثل الاستثناء لهذا الحكم<sup>(37)</sup>. كذا يقرر جابر عصفور، مما يعني أن مبدأ (المشاكلية) كان هو النظرة السائدة حول وظيفة الاستعارة والتشبيه في لغة الشعر. ولكن الجرجاني يخرق هذه القاعدة بالرغم من صلابتها وجماعيتها، ويضع (الاختلاف) أساساً جمالياً في لغة الشعر بكل مقوماتها، وعلى رأس ذلك يأتي التشبيه وتأتي الاستعارة، حيث يجعل (التباعد) في التشبيه أدعى للمزية والفضل وكلما اشتد التباعد كانت النفوس به أعجب، وفي ذلك يقول:

«إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيعين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب وكانت النفوس لها أطرب»<sup>(38)</sup>.

وذلك أن القاعدة الجمالية هي ما قام على الاختلاف، لكي يوجد داخل هذا الاختلاف ضرباً من الائتلاف وهذا هو معنى التشبيه الذي يقتضي (تصوير الشبه بين المختلفين)، فالأصل هو الاختلاف. ومن شأن الشعر أن يوهمنا بالغاء هذا التباين بين الأشياء من خلال إقامة علاقات لم تكن من قبل، وهذا شرط لتحريك المتعة القرائية، حسبما يقرر الجرجاني:

«وهو أن تصوير الشبه بين المختلفين في الجنس مما يحرك قوى الاستحسان، ويثير الكامن من الاستطراف»<sup>(39)</sup>.

(37) جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص 223، وانظر أيضاً ص 186 (المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت).

(38) الجرجاني: أسرار البلاغة 116.

(39) المرجع السابق 118.